

## فلسطين في وجدان الموريتانيين

### الخليل النحوي

كاتب ومفكر موريتاني، ورئيس مجلس اللسان العربي.

### توطئة

تكاد القضية الفلسطينية، إلى جانب الإسلام، تكون من أجمع القضايا لشتات الطيف الاجتماعي والسياسي والفكري في موريتانيا منذ عهد الاستعمار إلى اليوم؛ فقد تبوّأت فلسطين، أرضاً وقضية، مكانة مكيّنة في وجدان الموريتانيين وأسلافهم الشناقطة. وتضرب تلك المكانة بجذورها في أعماق التاريخ، فقد أثر عن الشناقطة أنهم كانوا ممن هبّ من أبناء بلاد المغرب لنجدة القدس في أيام صلاح الدين الأيوبي. وفي ذلك، يقول الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في فلسطين إن «باب المغاربة سمي بهذا الاسم تخليداً لدور الأهل المجاهدين الذين جاؤوا من بلاد المغرب العربي، تاركين خلفهم بيوتهم وأرضهم وأبناءهم من أجل الدفاع عن المسجد الأقصى المبارك في أيام القائد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وأولئك القوم من المجاهدين والعلماء والأولياء والصالحين كان من ضمنهم بوفق تعريفات هذه الأيام من دولة المغرب ومن دولة تونس والجزائر وليبيا وموريتانيا، لأنه معروف أن كل هذه المسميات التي ذكرتها تعرف بمصطلح المغرب العربي، وهذا ما يجعلنا نجزم أنه نعم كان هناك دور للأهل الشناقطة، كانوا جزءاً لا يتجزأ من تلك الكتائب التي وقفت على ثغرة مهمة جداً للدفاع عن المسجد الأقصى المبارك، وتحديدًا - كما أعلم - أن صلاح الدين الأيوبي اختارهم دون سواهم ووضعهم عند ثغرة باب المغاربة لأنها كانت تحتاج إلى مجاهدين يتحلون بالشجاعة والتضحية».

ورغم أن التاريخ المكتوب لا يتحفنا، إلى حد الآن، بوثائق ذات بال في هذا الشأن، فإنه لو لم يكن ما ذكره الشيخ رائد صلاح إلا فرضية لكان لها ما يسوغه في وقائع التاريخ المدونة أو المروية بالتواتر، ومنها ما هو معلوم من حرص الشناقطة على زيارة المسجد الأقصى بوصفه

قرين الحرمين الشريفين. وقد مثل «تقديسهم» أيام الانتداب البريطاني، ضرباً من ضروب مقاومة الواقع بتأكيد مركزية القدس عند شعوب الأمة.

وفي مرحلة الاستيطان الصهيوني كانت القضية الفلسطينية محرّكاً أساسياً للوعي السياسي المجتمعي الحديث، بدءاً بالاحتجاج تحت قبة البرلمان الفرنسي، أيام «الاستعمار»، مروراً بحراك الشارع الموريتاني في الستينيات وما بعدها، في عهد الاستقلال، لنصرة الشعب الفلسطيني، وانتهاً بإقامة مؤسسات داعمة للقضية الفلسطينية في مرحلة الاستقلال. لقد كانت النكسة عام 1967 زلزالاً حرك سواكن الموريتانيين ودفع بأعداد كبيرة منهم إلى تسجيل أسمائهم في قوائم المتطوعين للقتال. ولئن عاق بُعد الشقة وعدم توافر الزاد والراحلة جل أولئك المتطوعين عن اللحاق بالمقاومة الميدانية، فإن بعض الشباب انخرطوا في فصائل المقاومة، بينما نشط المجتمع الموريتاني بأطرافه، وبكل ما أتيح له من قوة، في سوح المقاومة عن بعد، فكان الشأن الفلسطيني هاجساً قوي الحضور لدى الساسة والعلماء والأدباء والمثقفين والحقوقيين وهيئات المجتمع المدني وعمامة أفراد الشعب. وكذلك كانت سائر القضايا العربية الكبرى التي اعتنتها الموريتانيون أكثر مما اعتنقوا قضاياهم المحلية، وكان لهم من الإجماع حولها ما لم يكده يتحقق على أي شأن سياسي آخر، داخلي أو خارجي.

تقدم هذه الدراسة نماذج شاهدة بقوة حضور الهاجس الفلسطيني في نفوس هؤلاء وأولئك.

## أولاً: الساسة... من الاختلاف إلى الائتلاف

لئن فرقت السياسة الناس أحزاباً وشيعاً في موريتانيا، فلقد لمت شملهم وجمعت شتاتهم قضية فلسطين، فكانت خيطاً ناظماً أساسياً لألوان الطيف السياسي في البلاد. وتعود البذرة الأولى للمقاومة السياسية الموريتانية لسلطة الاحتلال الصهيوني إلى تاريخ تأسيس دولة إسرائيل وتقسيم فلسطين؛ فقد كان لموريتانيا يومئذ نائب واحد في البرلمان الفرنسي هو الزعيم أحمد حرمة ببا، وقد احتج بقوة على دعم فرنسا لقيام إسرائيل وتقسيم فلسطين وطالبها بوقف مساعداتها للكيان الصهيوني، بل وهددها إن هي لم تتخل عن مساعدة الصهاينة بأنه سيعود إلى موريتانيا ويعلن منها الجهاد في سبيل الله. وقد استقال من الفرع الفرنسي للدولية العمالية احتجاجاً على الاعتراف بإسرائيل.

كان ذلك تأسيساً موريتانياً مبكراً لحراك سياسي واسع مقاوم للاحتلال الصهيوني والسياسات الداعمة له. وقد تنامي هذا الحراك على مر السنين، فكان عاملاً أساسياً في نشوء حركات قومية ويسارية وإسلامية تفرقت أيادي سباً في مشاربها الفكرية وولاءاتها وأطاريحها السياسية لكنها اتفقت على النضال من أجل تحرير فلسطين، واستخدمت في ذلك وسائل شتى منها التظاهرات التي كانت تقام سنوياً في ذكرى تقسيم فلسطين، والمهرجانات، والملتقيات،

والمنشورات السرية في مرحلة، والبيانات والمؤتمرات الصحافية في مراحل لاحقة. واتسم الشارع الموريتاني بحيوية بارزة في مواكبة كبريات الأحداث المتعلقة بالقضية والتفاعل السريع معها. ومن أحدث محطات ذلك الحراك مواقف الأحزاب السياسية من الطرف إلى الطرف بشأن قرار ترامب نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وهو قرار أثار موجة غضب تناغمت فيها أصوات الساسة والإعلاميين والأئمة على المنابر والطلاب وعمامة الناس في السوح بما فيها على الخصوص ساحة القدس قبالة السفارة الأمريكية. لم تكن الفجوة

### كانت قضية فلسطين من نواذر القضايا التي وُحِّدَت شتات الموريتانيين ساسة وعلماء وأدباء وفنانين ومثقفين ومواطنين بسطاء، وضيقَت الهوة بين الحكام والمحكومين.

في هذا الباب كبيرة بين المجتمع بقواه السياسية وبين الدولة بجهازها الرسمي ففي وقت مبكر من عهد الاستقلال، وبينما كانت الدولة الوليدة تتطلع إلى الحصول على اعتراف واسع من قبل المجتمع الدولي، رفض المختار بن داداه، رحمه الله، وهو أول رئيس لموريتانيا، الخضوع للابتزاز من طرف محام فرنسي عرض عليه الاعتراف بالكيان الغاصب، مُقابل حصد اعترافات كثير من الدول

الأعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة بالدولة الموريتانية الوليدة. وحين تسنى لموريتانيا أن تنضم للأمم المتحدة، ضمن المختار بن داداه خطابه في المنتظم الدولي موقفه الصريح من الكيان الصهيوني. وعلى الخط نفسه، بادر الرئيس الموريتاني بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة بعد حرب الأيام الستة عام 1967، وكانت موريتانيا الدولة الوحيدة التي اتخذت هذا الموقف حينذاك. وبعدها انتخب رئيساً لمنظمة الوحدة الإفريقية عام 1971، ثم بعد حرب رمضان/أكتوبر 1973، قاد الرئيس المختار حملة واسعة في أفريقيا توجت بقطع 43 دولة أفريقية علاقاتها مع إسرائيل.

وفي عهد الرئيس المختار، وعلى مدى سنوات، حجزت الإذاعة الموريتانية حيزاً خاصاً لبث برامج ونشرات «صوت فلسطين». وفي العهد ذاته وفي عهود بعض الأنظمة اللاحقة أصدرت موريتانيا عدداً كبيراً من جوازات السفر للقادة الفلسطينيين ولمغتربين فلسطينيين كثر.

وحين ابتليت موريتانيا في التسعينيات بما ابتليت به بعض شقيقاتها من التطبيع مع الكيان الصهيوني، تصاعد مد المقاومة وتواصل الضغط الشعبي إلى أن تناغم الموقف الرسمي مع الموقف الشعبي وقطعت الدولة من ذلك ما كانت وصلت، وعادت الأمور إلى مجاريها.

وكان من الدلائل الواضحة على رغبة الساسة في الاستماع لنفض الشارع في هذا الشأن إجماع مرشحي الرئاسيات لعام 2007 على ضرورة قطع العلاقات مع العدو الصهيوني وكان من بينهم الرئيس سيدي محمد بن الشيخ عبد الله الذي أعلن بعد فوزه في الانتخابات، عزمه على عرض موضوع العلاقات على البرلمان الموريتاني وهو ما يعني ضمان قطعها فوراً بأصوات ممثلي الشعب الموريتاني.

ومن العلامات البارزة في سياق المقاومة السياسية هذا قرار المجموعة الحضرية لمدينة نواكشوط والجهات الأخرى ذات الاختصاص تسمية الشارع الذي انتصب على جانبه المبنى الجديد

للسفارة الأمريكية «شارع القدس»، وقيام المجموعة الحضرية ببناء مجسم كبير لقبّة الصخرة في الدوار الواقع عند ركن السفارة وتسميته «ساحة القدس». وهو إجراء يجاوز في رمزيته الإجراء الذي اتخذته الملك فيصل رحمه الله بتسمية الشارع الذي تقع عليه السفارة الأمريكية في جدة باسم «شارع فلسطين».

## ثانياً: العلماء... من التقديس إلى رفض التدنيس

ارتبطت الأرض المقدسة في وجدان الموريتانيين ارتباطاً وثيقاً بالحرمين الشريفين، فكان الأعلام من علماء البلاد يحرصون على التقديس (زيارة القدس والصلاة في المسجد الأقصى) كما يحرصون على الحج والعمرة وزيارة النبي ص ويقرنون بين هذه الشعائر المعظمة.

ومن أقدم من وصلت أخبارهم من المقدّسين من أهل البلاد، حسب ما ذكره الباحث الكبير سيدي أحمد بن الأمير، الفقيه الولاتي بوبّه بن أحمد مولود بن الطالب امحمد الزعيمي اليونسي الولاتي المدفون قرب المسجد الأقصى حيث توفي هناك سنة 1815.

وممن قدّسوا بعد ذلك، في القرن الرابع عشر الهجري/العشرين، بالتقويم الغريغوري:

- العلامة محمد حبيب الله بن ماياي الشنقيطي الذي زار عدة مواقع فلسطينية صحبة الملك المغربي محمد الخامس قادمين من بلاد الحجاز على عادة المغاربة قديماً في التقديس بعد الحج. وقد كتب على الصفحة الخامسة من كتابه إكمال المنة باتصال سنة المصافحة المدخلة للجنة الصادر سنة 1926 إجازة لمفتي القدس الشريف رئيس المجلس الأعلى الإسلامي الحاج محمد أمين الحسيني، وهذا يدل على قوة علاقة الشيخ الشنقيطي بأعلام فلسطين؛ وقد تردد على القدس وكانت إقامته في بيت الشيخ محمد جمعه يوسف النجار.

- قاضي قضاة الأردن العلامة محمد الأمين ابن ماياي.

- القاضي محمد عالي بن فتى العلوي.

- الشيخ أحمد سالم بن الكوري بن بازيد الديماني «بشاً». وقد جاء إلى القدس بعد حجه سنة 1953 والتقى بالشيخ أمين الحسيني وأعجب كل منهما بصاحبه.

- الشيخ المختار بن محمد بن أحمد محمود بن محمد بن عيّد الموساني الجكني.

وجميع هؤلاء زاروا القدس، طبعاً، قبل سقوطها تحت الاستيطان الصهيوني.

ويذكر ابن الأمير أن الملك السعودي الراحل فيصل بن عبد العزيز اصطحب في زيارته القدس الشريف سنة 1965 الشيخ محمد الأمين بن محمد الخضر بن ماياي الشنقيطي. وهو يظهر في الصورة في القدس إلى يسار ملك الأردن الحسين بن طلال وعن يسار الشيخ الشنقيطي رئيس الوزراء الأردني وصفي التل.

- وذكر الباحث أن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حضر مصرع الأمير عبد الله الأول بن الحسين في المسجد الأقصى يوم 20 تموز/يوليو 1951 واعتبر الشاهد الرئيسي في المحاكم حينها.



وفيما بين النكبة والنكسة، كان العلامة محمد سالم عبد الودود، رحمه الله، من أندى العلماء الشعراء صوتاً في الدفاع عن قضية فلسطين وقضايا العرب عامة. ومن شعره في ذلك قبل النكسة قوله معاتباً بعض القادة مستنهضاً الشعوب:

ليس للرجعيّ فينا من نسبٍ  
لم نزل في الشأو نمشي قُدماً  
كم تفرّقنا زماناً شيعاً  
كم خمدنا ثم ثارت نارنا  
نبضة قلبية من يمين  
ثم أصغى من هنا أو ههنا  
عدنّ كارهة قد أدمجت  
وفلسطين لنا غائبة  
قاسمٌ أقسم لا يصحبنا  
سحبٌ قد عكّرت أجواءنا  
إن يقل مستعير من أنتم  
ليت شعري هل ترى بين العرب  
قوة زريّة ضاربة

كل رجعيّ دعِيّ في العرب  
ليس يلهينا لغوبٌ ونصب  
فُتّنا لشرّ مُرتقب  
من شرار كامن تحت الحطب  
أنبضت من مصر قلباً فوجب  
كل قلبٍ عربيّ فاقترب  
في إمارات الجنوب الملتهب  
بقطاع عربيّ مُغتصب  
سوف يرضى قاسمٌ بعد الغضب  
سنرى الشمس إذا الغيمُ ذهب  
قلتُ واسمي سالمٌ نحن العرب  
وحدة تبقى على مرّ الحقب  
مالها بالشرق والغرب سبب

وقد كان الشيخ محمد سالم إلى جانب علماء أجلاء منهم الشيخ محمد فال بن عبد الله والشيخ الحاج بن فحفو والشيخ محمد الحسن الددو، في مقدمة العلماء الموريتانيين الذين واجهوا قرار النظام الموريتاني مطلع التسعينيات بإقامة علاقات مع إسرائيل فأفتوا بحرمة إقامة هذه العلاقات من وجهة نظر شرعية. ودفع الشيخ محمد الحسن الددو، وآخرون، ثمناً باهظاً من صحته وحيته نتاج هذا الموقف.

وحين زار موسى أبو مرزوق موريتانيا خرج الشيخ علي الرضى الصعيدي من معتكفه الذي لم يكن يبرحه إلا لماماً منذ أكثر من ربع قرن، فأقام مأدبة عشاء على شرف المجاهد الفلسطيني، تعبيراً عن دعمه للقضية الفلسطينية. وللشيخ الرضى في خلواته شعر يصدر به الناس في الجلوات، يشد هم المقاومين، منه قوله:

حَانَ الْمَسِيرُ فَسِرْ عَلَى نَهْجِ الْهُدَى	بَيْنَ الْكُتَائِبِ رَافِعَ الْأَعْلَامِ
نَادِ الدُّعَاةَ وَقُدِّهِمْ مُتَوَشِّحًا	قَبْلَ اللَّقَاءِ بِسَيْفِكَ الصَّمْصَامِ
قَاوِمِ بِنَفْسِكَ فِي الْجِهَادِ حَارِبًا	وَأَضْرِبْ رِقَابَ الْكُفْرِ ضَرْبَ حُسَامِ
بُتِّ الْمَبَادِي تَسْتَرِّخُ مِنْ كَتْمِهَا	فَلَطَّالَمَا أَخْفَيْتِ كُلَّ مَرَامِ
أَلَيْتُ أَنِّي لَا أزالُ مُجَاهِدًا	حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الْأَعْلَامِ

ومع قيام السلطة الفلسطينية وتسلمها لبعض المعابر، بادر الشيخ محمد الحافظ النحوي بإرسال وفد لزيارة غزة وتأكيد التضامن مع أهلها. ضم الوفد أمين تحرير مجلة الأمة الوسط، يومذاك، السيد محمد الأمين بن امدن، والقارئ المعروف الناجي بن بلال. وقد شارك الوفد بالمناسبة في مسابقة دولية لحفظ وتجويد القرآن حصلت موريتانيا فيها على المركزين الثاني والخامس.

### ثالثاً: الأدباء ... قوة الكلمة

كانت قضية فلسطين والحشد لها غرضاً أساسياً من أغراض الشعر الموريتاني المعاصر، حيث لا يكاد يوجد شاعر ليس له نتاج متعلق بالقضية. بل منهم من شغلت القضية حيزاً مهماً من إنتاجه الشعري. وقد أسلفنا نماذج من شعر العلامة الثائر محمد سالم بن عدود - رحمه الله - في باب العلم، نضيف إليها، من باب الشعر، نموذجين آخرين يدعو في أحدهما إلى الحرب من أجل القدس:

أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ هَبُّوا فَلَبُّوا	دَعْوَةُ الْقُدْسِ بِالْحُرُوبِ الْعَوْنِ
لَا تَغْرَبْتُمْ مَوَاعِيدَ سَلْمِ	أَيُّ غَرٍّ يَغْتَرُّ بِالصَّهْيُونِيِّ
لَا تَظَنُّوا يَهُودَ تُسَلِّمَ مَا احْتَلَّ	تَ مِنْ الْأَرْضِ دُونَ حَرْبِ طَحُونِ
إِنَّهَا الْقُدْسُ أُمَّكُمْ فَاحْفَظُوهَا	حَفِظْ بَرَّ حَقُوقِ أُمَّ حَنُونِ

وهذه أدناه نماذج أخرى لشعراء قضوا نحبتهم، منهم من تخطفه الموت وهو في ريعان شبابه.

**المختار بن احمد محمود الشنقيطي** (عاش في موريتانيا ومصر والحجاز والأردن وتوفي عام 1959) مستنهضاً القادة:

ذي فلسطين بالبعاء تنادي  
يا ملوك العُرب الكرام الحقوني  
إنني أمكم أترضون لي ما  
فصغاري يُذَبِّحون أمامي  
... ليس هذا وقت التفاوض فيمن  
أين يا يعربُ الشهامة منكم  
أقبلوا جند يعرب لتنالوا  
ثم صولوا من الشمال طوراً  
واجعلوا موعداً للقاتل أبيباً  
لبنيتها وبالشجاء والشجون  
ثم جدوا في الأمر كي تنقذوني  
أنا فيه من امتهان وهون  
ونسائي من معصرات وعون  
هو أولى بأن يولى شوؤوني  
ثم أين احتقاركم للمنون؟  
ثأركم من غاز خسيس خوون  
ثم صولوا عليه ذات اليمين  
ثم هُدوا ما دونها من حصون

**الناجي بن محمد فال الشنقيطي** (عاصر النكبة والنكسة، وعاش في موريتانيا ومالي والحجاز) محياً شهداء حرب رمضان/أكتوبر:

أنفص غبار الحزن واستنشق شذا  
ولتمض شوطاً في الطريق مظفراً  
خاطر لعزك بالعظيم تفرز به  
مسك الدماء على ربي سيناء  
وابذل مزيداً من عزيز دماء  
فالعز تحت مصارع العظماء

**المصطفى بن معاوية التندغي** (ت 1979 غ) وقد خنقه الغيظ:

دويلة إسرائيل قدما بلا عهد  
.... دويلتهم هام لها كل دولة  
.... إذا ما رأيت الوفد منتسباً لهم  
وقدما بلا جاه وقدما بلا جهد  
وهم ذنب أو جيد كلب بلا عقد  
ترى الذل مضروباً على أوجه الوفد

**الحاج محمود بن عمر باه**، مستنهضاً أبناء الأمة:

بنو الإسلام خير العالمينا  
نحبيكم ضيوفاً آمنينا  
إلى العلياء هبوا أجمعينا  
ومجدكم هو المجد الأثيل  
وأشبال الغزاة الفاتحينا  
إلى القدس المقدس فاتحينا  
فما في العالمين لكم مثيل  
وخيلكم الأوائل ترتقينا  
وأنتم خير من يحمي العرينا

**محمدي بن القاضي**، وقد رأى القدس في بغداد:

حيّك بغداد يا أم الفتوح فتى  
وإخوة ورؤى تهفو لرؤياك

بغداد أهواك هل غيلان يسمعي  
أهواك في القدس في أحضان قرطبة  
أين المغيرة من أحيا ثراياك  
ألقي الحضارة شماً في ثناياك

فاضل أمين، وقد قدر للقدس قدرها:

يا أيها الباكون في أعطافها  
القدس أكبر من حكاية ناكص  
والحاملون إلى الصلاة زمامها  
ومن العجائز نمقت أحلامها  
ضاعت فردد شاعر أنغامها  
تذرو الرياح الذاريات كلامها  
ومن الروابي يحتسين ضرامها  
القدس تولد من هنا: من شمسنا

خديجة بنت عبد الحي، وقد استفزها بكاء طفل في القطاع:

سأحمل صحتي

إلى ناقة الشاطئ،

وأعبر عرض المحيط

وأسرح نحو الخليج،

وظلي إلى الشرق يمتد مثل الشراع،

لطفل بكى فوق أرض القطاع.

وهذه نماذج من بوح الشعراء الأحياء بالوجع الفلسطيني في صدور الموريتانيين:

محمد نياشو، معتذراً إلى شهر النكسة:

أيار يا رمز الصمود تحية  
هل جئت في هذا اللقاء مؤنباً  
من شعبنا المستعبد المنكوب  
أم جئت تلحق ماضياً بقريب؟  
إلا لرد نعيمنا المسلوب  
والبذل والتسليح والتدريب  
لكننا لم نهُتدِه في بحثنا  
كان اكتنناز الألبيا

وإلى الرجوع إلى الديار

لم نكتثر بشعوبنا  
[لا]، لم نزود جيشنا  
أو نعطيها حق الخيار  
إلا بتكوين معار  
يحمي البراري والبحار  
والشعب أيضاً في حصار  
كان الجنود محاصرين



كنا أناساً طبيبينُ  
لا نستفيد من التجا  
لكننا كنا صغار  
رب والعلوم والابتكار

أحمد عبد القادر، وقد ملكت عليه القضية له فقال مخاطباً فلسطين واللجئين:  
يا فلسطين يا فريسة عصر  
لحقوى الشر عيره غليان  
حطمي اليأس بالنضال وثورتي  
في مسار قوامه الشجعان  
لا يرد الحقوق إلا دماء  
تتلاً كأنها الأرجوان  
... سلحي الشعب وامنحيه انطلاقةً  
فبغير الشعوب لا يستعان  
أيها الألاجئ المشرد ظلما  
أيها النور أيها الإنسان  
لا تدع حقدك الدفين رفيقي  
حسرات يلوكها الوجدان  
حوّل الحقد نقمة وجحيماً  
يتلظى لهيبه الجذلان  
كلما أطلق الفدائي نارا  
صاح في الأفق صوتها الرنان  
منشداً نغمة الخلاص ينادي  
ها أنا الشعبُ ها أنا البركانُ

مباركة بنت البراء، وهي ترصد مناجاة أم لشهيد:

وناجت الأم شهيدها الحبيب  
قالت أيا بني جاء في سفر الخلود  
بأنه يولد من شظية البارود  
قوم سيولدون في عهد قريب  
عيونهم خزر كأسواط اللهب  
ستوقف الشمس لهم يوماً وبعض يوم  
فيزرعون الأرض زيتوناً وطيب  
ينبت فوق هامة النسر  
فيولد الزمان  
وينشأ الإنسان  
يسامق الدم الشهيد  
ويورق الدمع العميد.

ناجي محمد الإمام، في قسم العودة:

أبتاه يُستلب الجنوب وأهله  
أبتاه تُخنق ثورة العرب التي  
رمز الفداء ومستظل الثائر  
سلمتها علم الكفاح الناصر

تحت السياط يلوك عزم الصابر  
بدم أريق على تلال الدامر  
من «بيغن» من صنوه «ألغاز»  
مسرى الرسول إلى العلي القادر

سنظل نبني للغد العبق المنير  
في الوحدة الكبرى وتقرير المصير  
فيه التفاوض لا اعتراف ولا مجير

**محمد الحافظ أحمد، مستغرباً العجز عن حماية الأقصى:**

فيا بؤس هذا الشعب ليس له أمر  
ويونع فيها الشعر والفكر يخضر  
بها المسجد الأقصى ألا إنه نكر

وإلى فلسطين العلا حان الإياب  
مطر من الأشبال يودق كالسحاب  
وخولنا، والحي يا ولدي خلوف  
كم نحن تدري؟ نحن آلاف الألوف!  
هل نحن حقاً يعرب شم الأنوف؟  
ذئب اليهود فهو مسعود العرام  
تلويحة الزيتون، قالوا: لا سلام

ويظل شعبك في فلسطين الهدى  
قسماً بروحك بالعروبة بالفدا  
أن نستعيد كرامة مهدورة  
حتى تعود لنا فلسطين الأولى  
... بلا صلح ولا مفاوضة:

لكننا ولو استطاعوا قصفنا  
حتى يحقق حلم أمة يعرب  
لا صلح فيه مع الصهاين لا ولا

أفي كل يوم نكسة وخيانة  
أيملك أصقاع البلاد جدودنا  
ونعجز أن نحمي مساحة رقعة  
... وخذلان غزة:

لكن في شنقيط فاتحة الكتاب  
وحشود أطفال العروبة صيحة  
في غزة، وحقولنا منهوبة  
شذاذ شرذمة تقاسم أرضنا  
والزيت في قعر الصحاري آسن  
أخت (السدا) بنت الزنا تغري بنا  
قلنا لهم: هذا السلام، وهذه

**إسماعيل محمد بحظيه، في تحد جازم للجغرافيا:**

تلك المآسي مآسٍ من مآسينا  
العرق يجذبنا والدين يدنينا  
فيينا لقد أنشبوها فيينا البراثينا  
إلا بما كسبت من قَبْلُ أيدينا  
وأنتِ في الشرق جزءٌ من أراضينا  
لولا تخاذلنا لولا تغاضينا  
والبأس .. لا اليأس فينا والإبنا فينا

ويا فلسطين ذي أكبادنا انفطرت  
فلم تكن هذه الصحرا لتعزلنا  
ما لليهود ومالي من توغّلهم  
لكنهم لم ينالوا من كرامتنا  
فنحن في الغرب جزء منك مغترب  
لم يغضبوا أرضنا لولا تنافرننا  
الحزم فينا وفيينا العزم مكتمل

محمد بن الطالب مستجوباً قادة العرب:

إلام القدس يرسف في أسار  
ويذرونا التفرق في شجون  
يسام الخسف من أهل وجار  
فإن ضاقت بنا حبك المرايا  
فالعرب الخيار إذا أرادت  
وتختفر الكنائس والذمام  
ويجمعنا بها الدم والكلام  
على دخن ونغضي إذ نسام  
وعزّ بها التوله والهيام  
ولا حرب تدوم ولا سلام

المختار السالم أحمد سالم، مقارنا بين القدس وعمورية:

القدس أقرب أهلاً من عمورية  
بغداد أقرب داراً من عمورية  
لا تطلبوا الغرب بعضاً من سلامتكم  
لم نحمل نحن لها عرضاً ولا عنبا  
أسوارها انتهت والكبريا انتهبا  
فلن يفيد.. ولكن عزّبوا العربيا

الشيخ جاكيتي سك، مستدياً حطين في ذكرى النكبة:

ذلنا دنن والكيل تطفح  
فلسطين تنادي الماء و  
... وإلى أين ترى في ذلنا  
... فلسطين لنا حتماً لنا  
يوم حطين سيأتي فاصلاً  
أيها القادة والإرهاب صرح  
يظل الصوت في الآفاق يصدح  
أليوم كلنا فيه نذبّح  
وغشاء الذل لا بد سيمسح  
بصلاح الدين، بالنصر المجنح

الشاعر أبو بكر المامي في برقية من شنقيط للقدس:

من أرض شنقيط للقدس العظيم يد  
جرح المآذن يذروها إلى بلد  
مُدّت وروح بها ماست ذرى السعف  
ما زال في الأرض رمز العز والشرف

عبد الله العتيق بن الدين، صادحا بخيار النصر أو الشهادة:

يا أيها الأحرار في الوطن الكبير  
هبوا لندفع تهمة الجبن التي  
وتأهبوا لنخوض معركة المصيد  
فإلى فلسطين السليبة قلب أر  
... لنحرر القدس الشريفة من يدي  
ولندخل الأرض المقدسة التي  
ونعود منها ظافرين بنصرنا  
ر بحقكم هلا نفرتم ثائرين  
ظلت ترددها شفاه الشامتين  
ر لنستعيد ربوع لبنان الحزين  
ض بني العروبة قلب أرض المؤمنين  
صهيون، من دنس احتلال الغاصبين  
كتبت لنا ونقيم فيها آمنين  
أو لا نعود، نموت في المستشهدين

## رابعاً: منظمات المجتمع المدني: المقاومة بأسلوب آخر

لم تحتكر الأحزاب والحركات والمؤسسات السياسية العناية بالشأن الفلسطيني، بل كان شأناً مجتمعياً قام عليه، بل ونشأ من أجله عدد من منظمات المجتمع المدني والأهلي التي ينشط فيها ساسة مختلفو الرؤى والمواقف في الشأن المحلي، ومتقفون وحقوقيون وفاعلو خير وناشطون غير مصنفين.

وكان من المحطات البارزة في هذا السياق تأسيس الرباط الوطني لمقاومة الاختراق الصهيوني عام 1999. وقد حمل فيما بعد اسم «الرباط الوطني لنصرة الشعب الفلسطيني»، وهو منظمة تأسست على يد مجموعة شخصيات مختلفة المشارب السياسية والفكرية. وكذلك تكون من بعد «التجمع الموريتاني للدفاع عن القدس ودعم محور المقاومة». وقد نشطت الهيئتان وأضربهما في دعم القضية الفلسطينية بأساليب شتى كان منها تنظيم أسبوع الشهيد ويوم الغضب انتصاراً لغزة والملتقيات الدورية المخصصة لقضية القدس، وكانت قضية فلسطين، إلى ذلك، حاضرة في كثير من التظاهرات متعددة الأغراض التي تنظمها هيئات عمل خيرى وتربوي وثقافي غير حكومي. ومن ذلك تخصيص منبر للقدس الشريف في المؤتمر السنوي للتجمع الثقافي الإسلامي، وهو مؤتمر اعتاد أن يعالج موضوعات شتى من دورة إلى دورة، وكانت القضية الفلسطينية ركنا شبه ثابت في برنامجه.

وقد شملت أنشطة هذه المنظمات وداعميها من أهل الخير أيضاً:

- تنظيم حملات التبرع لدعم الشعب الفلسطيني، ومن إبداعات هذه الحملات ما تضمنته إحداها من عرض عمامة العلامة محمد سالم بنعدود (عبد الودود) للبيع في مزاد علني. وقد اشترت هذه العمامة بمبلغ 4 ملايين أوقية (أكثر من 11400 دولار أمريكي). وتبرعت سيدة موريتانية بحليها بكامله، وقدرت قيمته بمبلغ مماثل (نحو 11400 دولار). وفي إحدى الحملات تبرع رجل مسنٌ بجدي، وقال «لو كنت غنياً لتبرعت أكثر ولكن هذا هو مبلغ جهدي». وقد بيع الجدي في مزاد علني بمبلغ تناهز قيمته 8 آلاف دولار، وهو ثمن كاف لشراء قطع كبير من الماعز في موريتانيا. وقد دفعت إحدى السيدات قطعتي أرض ثمناً للجدي.

- تنظيم القوافل الطبية والإغاثية لنجدة الشعب الفلسطيني رغم بعد الشقة، وقد تعددت هذه القوافل ومثل فيها العلماء وقادة الأحزاب والنواب والإعلاميون والأدباء والمحامون والفنانون والأطباء، وكان بين المشاركين فيها نساء. ومن الأمثلة على هذا النوع من المناشط قافلة شنقيط 3 لمناصرة أهالي غزة، وقد قادها العلامة الشيخ محمد الحسن الدو. وقدمت مساعدة إلى أهالي غزة في مجال علاج جرحي العدوان الإسرائيلي، ودعم عائلات الشهداء والجرحى، وترميم المساجد وإعادة إعمار البيوت المهدمة.

- تنظيم إفطار الصائم، وتوثق الصورة أدناه جانباً من حفلات الإفطار التي نظمت في رحاب المسجد الأقصى بدعم من المجتمع الموريتاني.



### خامساً: المقاومة ... مناخ عام

كانت مناشط السياسة والعلماء والأدباء وهيئات المجتمع المدني إفراناً لمناخ عام مشحون بالولاء للقضية الفلسطينية والالتزام بها. وعليه، فإن المواقف المقاومة لم تكن محصورة في تلك التي توظفها الهيئات المذكورة بصورة منظمة، بل كانت منبثة وبصورة عفوية في النسيج الاجتماعي. ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك رفض أصحاب المكتبات في مدينة شنقيط العتيقة فتح منازلهم ومكتباتهم لوفد إسرائيلي زار المدينة التاريخية خلال فترة التطبيع، ورفض بعض موظفي الدولة قرارات التعيين في وظائف بالسفارة الموريتانية التي فتحت في تل أبيب لبعض الوقت، ورفض عدد من ملاك المباني الفخمة إيجار منازلهم لسفارة العدو رغم الإغراء المادي، وانخراط الطلاب بكثافة في حراك المقاومة. وقد نجح طلاب جامعة انواكشوط في احتجاجات نظموا انطلاقاً من ساحة الشهيد محمد الدرة ضد زيارة قام بها وزير خارجية العدو في تقليص مدة الزيارة من يومين إلى ربع يوم. وفي فترة التطبيع نفسها، رفض الشاعر مولاي عبد الله مولاي عثمان تسلّم جائزته بعد فوزه في مسابقة أدبية نظمتها وزارة الثقافة، وذلك حين انتبه لحضور السفير الإسرائيلي، فقال: «أستحي أن آخذ جائزتي في حفل حضره قتلة أطفال «قانا» وغزة .. أبداً أرفض الهوان»، وانسحب من الحفل وانسحب معه آخرون، ثم قدم له الرباط الوطني لمقاومة التطبيع الجائزة مضاعفة في حفل آخر.

وسيظل اسم المرحوم الزايد بن الخطاط محفوراً في ذاكرة المقاومة، فقد فوجئ الفتى العامل في مخبر المستشفى الوطني بنواكشوط بوفد إسرائيلي يزور المستشفى، فبادر بصفع الطبيب الصهيوني ابريت روز مبلات وقال: «المرض أحب إلينا من رؤية وجهك».

وقد جسّد السياسي البارز والداعية محمد غلام بن الحاج الشيخ والإعلامي المعروف محمد فال بن بوخوصة وهج المقاومة المنطلق من موريتانيا بمشاركتها في أسطول الحرية الذي تعرض لعدوان من الجيش الإسرائيلي في البحر.

وقد استرعى الهاجس الفلسطيني القوي لدى الموريتانيين انتباه الإعلاميين القادمين من خارج البلاد والدبلوماسيين وغيرهم. ومن هؤلاء الصحفي الأردني أسعد الغزوني الذي قال: «لو كان لدينا في الوطن العربي ثقافة البحث العلمي لدعوت المختصين من المحليين والباحثين من علماء النفس والمنطق وعلماء الأنساب والأصول كي يعقدوا ورش العمل للبحث في الظاهرة الموريتانية التي قلبت الموازين».

وقد قال عبد الباري عطوان: «الشعب الموريتاني من أكثر الشعوب العربية التصاقاً وتأييداً لقضايا الأمة العربية وفلسطين على وجه الخصوص ولم يؤثر عامل الجغرافيا أي وجوده في أقصى المغرب على مواقفه هذه. فكان واضحاً في معارضته الغزو الأمريكي للعراق وواضحاً في رفضه للجرائم الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني».

ويقول لؤي عيسي السفير السابق لدولة فلسطين في نواكشوط: «والله لا أزايد ولا أتكلم في إطار دبلوماسي أو بمعاملة أنا أتساءل كيف تحتاج فلسطين إلى سفير في موريتانيا ولديها ثلاثة ملايين سفير» إلى أن يقول «أنا لا أريد العودة إلى التاريخ لأتحدث عن ولد حرمه ولا عن المختار ولد داداه أو ولد مكناس وكل هذه المفاصل التاريخية المضيئة من مسيرة موريتانيا مع القضية الفلسطينية، نحن دخلنا إفريقيا من بوابة موريتانيا ولم ندخل من أية بوابة عربية أخرى». وقد قال أحد الدبلوماسيين الفلسطينيين: لا ندري لماذا نبعث سفيراً إلى موريتانيا ولدينا فيها ثلاثة ملايين سفير.

ومن أبلغ الشهادات شهادة فتاة بريطانية زارت موريتانيا وفتنت بها، حيث تقول عاشقة الرمال الذهبية لورا هارتلي في مقابلة نشرتها صحيفتا السراح وفلسطين: «وجدت أن القضية الفلسطينية كانت حاضرة بين أفراد الشعب الموريتاني وكأن فلسطين تقع في مواجهة حدودهم وليس على بعد آلاف الأميال! فازداد اهتمامي بتلك القضية، لأصبح عضواً نشطاً في مجموعات تؤيد حقوق الشعب الفلسطيني وتدعو إلى مقاطعة إسرائيل». وقد أقامت لورا الحواجز في مدخل كليتها بجامعة لندن، ومثلت فيها مع زملائها الطلبة دور جنود الاحتلال على الحواجز، لتنبه الرأي العام إلى خطورة ممارسات العدو الصهيوني ضد المواطنين الفلسطينيين.

وهكذا، كانت قضية فلسطين من نواذر القضايا التي وحدت شتات الموريتانيين ساسة وعلماء وأدباء وفنانين ومثقفين ومواطنين بسطاء، وضيق الهوة بين الحكام والمحكومين.

لقد ملأت الدنيا وشغلت الناس في ذلك المنكب البرزخي القصي.

## مراجع الدراسة

بن امدن، محمد (الراجل). «شنقيط ... جهود في تحرير التوأم». وكالة صحفي للأنباء، 10 تموز / يوليو 2010، <<http://souhoufi.com/article2230.html>>

العاني، موفق. «موريتانيا موطن الشعر والفصاحة». مجلة دبي الثقافية: العدد 64، 2012.

ولد الأمير، سيدي أحمد. «الشناقطة والقدس الشريف... في ذكرى خمسين سنة على الاحتلال». أعلام، 9 تموز/ يوليو 2017، <<http://www.aqlame.com/article34403.html>>

ولد الحاج الشيخ، محمد غلام تاريخ الخطيئة ومسار المقاومة. «موقع الأخبار 3 كانون الأول/ ديسمبر 2009.

ولد سيدي عبد الله، الشيخ. «القدس.. المكان.. والرمز في الشعر الموريتاني». «سدنة الحرف»، <<http://sadanatoualharf.com/node/2189>>

ولد محم، محمد الحافظ. «المقاومة والتحرير: أحمدو ولد حرمه ولد بيانا نموذجاً». «الصدى»، <<https://bit.ly/2JNGuUs>>، 16/12/2017.

ولد محمد الأمين، سيدي. «القضية الفلسطينية في الشعر الموريتاني: حين نُوحِد القصيدة المشاعرَ (ملف)». «الأداب»، 24 نيسان/ أبريل 2017، <<https://bit.ly/2YVQ1PH>>

ولد محمد لخدِيم، المرابط. «عندما ترتبط موريتانيا (شنقيط) بالأقصى عضويًا». أعلام، 13 كانون الأول/ ديسمبر 2017، <<http://www.aqlame.com/article36219.html>>

Copyright of Arab Future is the property of Centre for Arab Unity Studies and its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission. However, users may print, download, or email articles for individual use.